

عاهة العمى ودلالاتها الايجابية والسلبية في شعر بشار بن برد

The disability of blindness and its positive and negative connotations in the poetry of Bashar bin Burd.

أ.م.د هاشم جعفر الحيدري^(١)

Asst. Prof. Hashem Jafar Al-Haidari (PhD)

الخلاصة

ولد الشاعر بشار بن برد بصيرا، لكنه لم يفقد البصيرة. وتميز عن كثير من اقارنه، وخاصة الشعراء منهم بذكاء وبخيال واسع ومفرد. فقد استطاع ان يوصف ما لم تشاهده عيناه. فقد استعان بسمعه الحاد، وترجم ما دخل في سمعه إلى ما عجز عنه الشعراء الذين يتمتعون بنعمة البصر ان يأتوا بمثله. فكان هذا عاملا مهما ان يتقرب من ذوي السلطة والجاه واصحاب النفوذ، وعلى رأسهم الخليفة المهدي، الذي قربه وأصبح من ندمائه. وأغدق عليه العطاء.

كان في موضع الحسد من قبل الذين يجدونه متقدما عليهم، فيستخدمون سلاح النميمة والهجاء. لم يكن اقل منهم بلاغة حين يرد عليهم، بل يكيل لهم الصاع بصاعين. لكن يعود ويصفق بيده متحسرا فيقول (انهم يروني ولا اراهم). هذا يمثل حالة سلبية في شعره بصورة خاصة وحياته بصورة عامة

الكلمات المفتاحية: عاهة العمى، بشار بن برد، البصيرة، الخيال، النفوذ، الهجاء

١- جامعة اهل البيت (عليه السلام) - كلية الآداب.

Abstract

Bashar ibn Burd is a well – known Abbasid poet (b. 167H'820 A.D). He was born and grew up blind , but he was able to use his insight to compensate for his loss of sight.

He is one of the great poets of the Abbasid period . He was closely related to the Califate Al-Mahdi (158-169H,775-785A.D) who offered him protection and made him one of his confidantes .

He employed this defect in his poetic career, he wrote in various poetic purposes and excelled in the descriptive purpose which depends on sight.

Critics agreed that one of the finest lien in descriptive poetry was said by Bashar, and that is,

Cloud dust of battle over their heads and the glitter of
Our swords lighted the darkness like falling stars.

Keywords: Blindness disability, Bashar ibn Burd, Insight, Imagination, Influence, Satire

المقدمة

لقد أُصيب كثير من الخلق بعاهات عديدة حرموا من احدى النعم، على سبيل المثال لا الحصر السمع والبصر. مما تحولت حياتهم إلى تعاسة وشقاء، لافتقادهم ما يتمتع نظراؤهم ومن ثمَّ اعتبروا من اصحاب العاهات المستديمة. والتي تجلب لهم الشفقة والعطف تارة، وتكون عاملا وسببا لمن يرموا إلى الخير في تقديم المساعدة مقرونا بالعطف والحنان من اجل تلبية حاجاتهم قدر المستطاع، وهذا مما جُبِّلَتْ عليه الانسانية بمختلف دياناتها واعراقها. من اجل الحد او التقليل من معاناتهم قدر المستطاع.

لكن الذي دعانا إلى كتابة هذا البحث هو ان بعض مما شملتهم عاهة ما سعوا وبكل جهد ان يتغلبوا عليها، او يتسلحوا بما يقلل من اهميتها. ولناخذ نموذجا ادبيا حيا شغل عصره وما بعده الشاعر بشار بن برد والذي عاصر نهايات الدولة الاموية وشهد سقوطها وعاش ردحا من الزمن في كنف الدولة العباسية. تغلب على فقد بصره ليستعيز عنه ببصيرته، فكان شاعرا فحلا. حتى وصفه المؤرخون بالشاعر المطبوع ، لا يجهد في نظمه القصائد وعد من الشعراء المحدثين^(٢). حتى اصبح قدوة لمن مثله كي لا يستسلموا إلى حالة اليأس والقنوت .

إن كثرة المصادر التي تتحدث عن الشاعر بشار بن برد، سواء عن شعره او ادبه أو حياته. وكثرة من تعمقوا وتخصصوا في نقل شعره ونقده. لم تسعفنا أو تغني ما نرمي الوصول اليه. وذلك لعدم تطرق الباحثين إلى هذه الصفة التي تحلى أو اختص بها شاعرنا، بقدراته وفطنته ليحول عاهة العمى من نقمة إلى نعمة، ويستغلها في الوصول إلى ما يحلم المبصرون في الوصول اليه.

٢ -الشعر والشعراء -عبد الله بن مسلم بن قتيبة - تحقيق مفيد قمحية - دار الكتاب العلمية - بيروت / لبنان ط ١ سنة ١٩٨١ ص ٣٩٠

لقد قسمنا البحث على محورين. الاول يشمل نبذة مختصرة عن ولادته ونشأته، وكيف استطاع ان يحول فقدانه للبصر حالة ايجابية، مستفيدا منها، ومن خلالها حقق بعض امانيه. وبما لو كان سالما لم يستطيع ذلك.

اما المحور الثاني وهو مناقض للحالة الاولى حين تتاب الشاعر حالة ضعف وتكون بمثابة سببا مباشراً، على ان تجبره على الاستسلام لما هو فيه من نقص مقارنة بخصومه، الذين يعرفون كيف يجارونه، وهو اعزل عن سلاح النظر، الذي يتميزون عليه به.

لقد عبر عنها في مواضع كثيرة موضحا ومبيناً سبب خسارته لمعارك الهجاء التي يخوضها ضد خصومه. سوف نذكرها اثناء البحث. نرجو ان ينال بحثنا هذا القدر الكافي من الاهمية والنجاح مساويا لما بذلناه من جهد عماده الدقة والحرص.

نأمل من هذا البحث ان نؤكد لكثير ممن حرموا من نعم الله (الحواس الخمس) على وجه الخصوص. بأن الله سوف يعوضهم ما فقدوه، على ان يتدبروا امرهم، ويكتشفوا ما هو قد ما قدم إليهم وهم لا يشعرون. وما بشار الا نموذجاً ودليلاً.

يمكن الاستفادة من تجربته التي ادت في نهاية المطاف إلى نجاحه وشهرته، عبر العصور والى يومنا هذا. لعل الذين اصابهم ما اصابه من نقص في الحواس أو الذين لازمتهم عاهة ان لا يركنوا او يدخل في نفوسهم اليأس من ان يحنوا حذوه، ويجعلوا مما يلزمهم من اعاقاة عاملاً محفزاً في التغلب عليها، بل إلى توظيفها لصالحهم. وهناك الامثلة كثيرة. قد اثبتوا وجودهم وفي جميع الحرف والاختصاصات ، وفي عصور مختلفة وقد جاء في قوله تعالى^(٣) (إِنَّ السَّمْعَ وَ البَصَرَ وَ الْفؤَادَ ...)

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ^(٤)

المحور الاول

توطئة ...

عرفنا التاريخ ان كثيراً من المشاهير واصحاب المواهب ، ومنهم بعض الشعراء والكتاب الذين كانوا فاقدين البصر، وقد عوضهم الله البصيرة ومن اشهرهم هوميروس^(٥). والشاعر الانكليزي جون ملتن^(٦). ومن الشعراء الجاهلية العميان معن بن زائدة^(٧) . ومن الشعراء المخضرمين بين الجاهلية والاسلام حسان بن

٣ - القرآن الكريم - سورة الاسراء - الآية ٣٦

٤ - القرآن الكريم - سورة هود - الآية ٨٨

٥ - هوميروس . شاعر ملحمي يوناني الاصل ألف الاوديسا والالياذة - عاش في القرن التاسع قبل الميلاد

٦ - جون ملتن شاعر انكليزي عاش في القرن السابع عشر . من مؤلفاته الفردوس المفقودت وليم هنري - تاريخ الادب

الانكليزي - لندن ١٩٥٩ ص ١٢١ وانظر هوميروس الالياذة - ترجمة سليمان البستاني - مؤسسة الهداوي ٢٠١٧

٧ معن بن اوس شاعر جاهلي أدرك الاسلام - معن بن اوس - حياته وشعره - كمال مصطفى - مطبعة النهضة - ٢٠١٦

ثابت^(٨). و أبو العباس الاعمى^(٩). ومن الشعراء العرب المشهورين ابو العلاء المعري^(١٠). الذي ترك لنا مختلف الفنون الادبية وبمختلف الاغراض الشعرية^(١١). فقد فاقوا هؤلاء النوابغ نظرائهم في سعة الخيال. ومنهم الشاعر بشار بن برد الذي يمثل لنا نموذجا متميزا في مجال الشعر، في الفترة التي كثر فيها الشعراء، وكانت خصبة في الانتاج الشعري. فقال من قال في العمى^(١٢):

غدوت بتشمير وجد عليهم وحررتي وسمعي وها دفتر قلبي
ان يأخذ الله من عيني نورها ففي لساني وسمعي منها نور
فهي ذكى وقلبي غير ذي غفل وفي فمي صارم كالسيف مشهور

جاء بشار بن برد وهو من الشعراء الذين كانت لهم مكانة متقدمة، في بداية العصر العباسي الاول، حيث كان في مقدمة الذين نبغوا سواء أكانوا من المبصرين ام فاقدى البصر. وليثبتوا من فقد احدى حواسه الخمس فيعوضه الله بمثلها او أحسن منها، وما هذا النقص الا جاء بمصلحة الذين حرّموا. كما خفف عنهم بعض الواجبات والالتزامات الشرعية حين يؤكدّها الرحيم الكريم في محكم قوانينه وشرائعه التي دونت وسجلت نصا في قوله تعالى (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ)^(١٣). كما وقد عرف عنه انه كان ذا فطنة صحيحة، وقريحة ثاقبة، و جودة في النقد^(١٤) وهو يفتخر بفقدته للبصر حين يصرح بقوله: ^(١٥)

عُمِيْتُ جَنِينًا وَالذِّكَاءُ مِنَ الْعَمَى فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعَلَمِ مَوْثَلًا
وغازضَ ضِيَاءَ الْعَيْنِ لِلْعَلَمِ رَافِدًا بقلب اذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كنوز الروض لاءمت بينه بقول اذا ما أحزن الشعر أسهلا

نسبه ونشأته:

٨ - ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغاني ج ٤ ص ٢ ويذكر انه عاش مائة وعشرون سنة ومنهم من يذكر مائة وخمسون سنة وقد فقد بصره في اواخر حياته
٩ - هو ابو العباس سائب بن فروخ - تهذيب الكمال في اسماء الرجال - المكتبة الاسلامية ١٩٩٨ ص ١٩
١٠ - هو احمد بن عبد الله بن سلمان التنوخي المعروف باسم المعري نسبة إلى مدينة تقع بين حلب وحماة تسمى معرة النعمان زهو الذي يقول
اراني في الثلاثة من سجوني فلا تسأل عن الخبر النبيث
لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسم الخبيث
راجع ديوان ابو العلاء المعري - المكتبة الشاملة - احمد بن عبد الله سليمان القاضي التنوخي - سنة ٢٠١١ ص ٦٤١
١١ - شوقي ضيف - الفن ومذاهبه في الشعر العربي - دار المعارف - القاهرة - الطبعة العاشرة ١٩٦٠ - ص ٣٧٦
١٢ - شهاب الدين محمد بن احمد ابي الفتح الأبيشي - المستطرف في كل فن مستظرف - مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة
- ج ٢ ص ٢٧٢ والوفاي بالوفيات - الصفدي - ج ٢٣ ص ٢٥ - ومكتبة الشيعة http://shiaonlinelibrary. Com -...- الشاعر مجهول

٧ - القرآن الكريم - سورة النور - الآية ٦١

١٤ - الاغاني ج ٣ ص ٢٣

١٥ - المصدر نفسه اعلاه ص ٢٣. ونظرات في ديوان بشار بن برد - شاعر الفحام - ص ١٢

روي ان نسب بشار حيث ينتهي إلى جده الاكبر زوسيح ومن ثم يصل به النسب إلى ابراهيم الخليل عليه السلام^(١٦). لكننا نستطيع ان نثبت عدم صحة انتساب الشاعر بشار بن برد إلى نبي الله ابراهيم الخليل عليه السلام كون ان الشاعر غير عربي الاصل والانتماء. وهذا من اعتراف بشار نفسه وبانتسابه إلى الفرس تارة فهو القائل:

جدي الذي اسمو به كسرى وساسا ابي^{١٧}

وفي مناسبة اخرى نجده يدعي مصرحاً بانتسابه مفتخراً إلى عظماء الفرس وملوكهم في قوله

كآل كسرى وكآل برد انكب جاف عن سبيل القصد^(١٨)

اما نسبه من جانب الأم فيدعي بشار انه يعود إلى القياصرة الرومان فيقول

وقيصر خالي اذا عددت يوما نسي^(١٩)

ومن خلال ذلك يؤكد ان بشار بن برد لا ينتسب إلى القبائل العربية.

لكنه نشأ وترى في احضان بني عقيل. حين كانت امه مملوكة لهم. فقد وهب وامه لأمرأة من بني عقيل وكان بمثابة صداقها فأعتقتها^(٢٠). فراح ينتسب اليهم حين يقول^(٢١):

انني من بني عقيل بن كعب موضع السيف من طلي الاعناق

فقد ترى في حجرهم، لكن بفطنته ودكائه المفرط، استطاع ان يتقن اللغة العربية من معينها الصافي، ويجيد استخدام مفرداتها، ولم يسبقه في هذا المضمار الا القليل من الشعراء الذين عاصروهم وهم عرب اقحاح. حين نانس البلغاء والفصحاء في ذكره المفردات البدوية، التي تستخدم عند بعض القبائل، ولا يعرف معانيها الا الضليع في اللغة. فيذكرانه قال بيتاً من الشعر وتستخدم فيه كلمة غريبة وهي (أدسيم) ومن الغريب ان هذه المفردة لا يعرف معناها او يستخدمها الا الذين يقطنون في وسط الصحراء، وخاصة البدو الرحل، حين ذكرها في قصيدة طويلة قائل^(٢٢):

أديسم يا ابن الذئب من نجل زراع أتروي هجائي سادرا غير مقصر

حين سماع احد النقاد راح متعجبا، فقال منهم (ما اعلمه بكلام العرب)^(٢٣).

١٦ - احمد طاهر بن عاشور. ديوان بشار - القاهرة ١٩٥٠ / ج١ ص٢

١٧ - المصدر نفسه اعلاه - ج١ ص٣٧٩

١٨ - كتاب الاغاني ج٣ ص٣٨

١٩ - ديوان بشار ج١ ص٤

٢٠ - كتاب الاغاني ص ٢٠

٢١ - كتاب الاغاني ج٣ ص٢١ ويذكر انه دخل على الخليفة المهدي وقد سأله الاخير (بمن تعتد يا بشار) فأجابته (أما اللسان والزبي فعربيان وأما الاصل فعجمي). ولما سأله من أي الاعاجم انت اجابه من طخارستان

٢٢ - كتاب الاغاني - ج٣ ص٢٧

٢٣ - المصدر نفسه اعلاه. والديسم هو ولد الذئب من الكلبة. وذكر ايضا. الكلاب اولاد الزراع والعيسار ولد الضبيع من الذئب. والسمع ولد الذئب من الضبيع. انظر كتاب الحيوان - ابي عمر بن بحر الجاحظ - ج١ ص١٨١

ان بلوغ الموالي ومنهم الشاعر بشار بن برد هذه المكانة الاجتماعية، جاء تتويجا لما نادى به الدين الاسلامي الحنيف، والذي سعى إلى الغاء الفوارق، ومحاربة الرق والعبودية. على اساس قاعدة فقهية، معتمدة على ما جاء في القرآن، بصورة صريحة وصادقة في القضاء على العرقية والطبقية، وجعل موازين التميز والتفاضل هو التقوى. وجسدها في قوله الله تعالى: (٢٤) (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعْرِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)

لم تذكر كتب التاريخ والادب السنة التي ولد بها الشاعر بشار بن برد بالتحديد. لكن بعض المؤرخين يذكرون سنة ولادته عام ٧٩ أو عام ٨١ الهجري^(٢٥). وحين قدم إلى الحياة، كانت ولادته ناقصة وغير سليمة. فقد ولد وهو اعمى من غير عينين. و لم يرَ النور اطلاقاً^(٢٦).

لكنه ولد وهو يمتلك البصيرة التي يفتقر اليها الكثير الكثير ممن يمتلكون نعمة البصر حيث يوصف الاشياء ويشبها حيث يعجز المبصرون في تصويرها أو يأتون بمثل ما ينطقه في شعره،

شاعرية بشار بن برد

قال الشعر وهو لم يبلغ الحلم^(٢٧)، ولم يأت هذا من فراغ . فقد امتلك من المفردات وحفظ معانيها وعرف كيف ومتى يستخدمها. مثله كالصائغ حين يضع الاحجار الكريمة في مكانها، ويجعل منها عقداً يزيد في ثمنها. نظم القصائد مستخدماً كل الاغراض الشعرية، ومنها الوصف، الذي يعجز المبصرون في الاجادة به. فكيف بالبصير؟ وعندما تخرج الكلمات مكونة البيت الشعري كالعقد، يبهر السامعين، ويحير المهووبين في تذوق الشعر ومعرفة معانيه. فهو القائل وهو يوصف ساحة الوغى وما يدور فيها من تأثير حوافر الخيل وقعقة السيوف ، بيت يصور لنا من خلاله لوحة جميلة ، تختصر ما دار ويدور ، في الوقت الذي عجز من ان يأتي بمثله نظراءه المبصرين ، او يتخيله المبصرون اذ يقول :^(٢٨)

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا واسيفنا ليل تهاوي كواكب

لم يستطع أحد من الشعراء ان يقول هذا البيت وهو الذي لم يرَ النور في حياته مطلقاً. ولم يحضر او يشترك في معركة طول حياته. وهذا يدل أنه يملك خيالاً واسعاً، استطاع ان يترجمه في بيت واحد من الشعر. فأن النقع المعروف أثره عند احتدام المعركة بتأثير قوائم الخيل وحوافرها، والذي يسبب نسبة غير قليلة في انعدام الرؤيا، يكون عاملاً في خداع البصر وافهام الناظر ان ما يتهاوى من لمعان السيوف، كبريق إلى كواكب التي تهوي من السماء. سواء كانوا من الشعراء ام من العامة. وهنا يكمن بيت القصيد على

٢٤ - القرآن الكريم - سورة الحجرات - الآية ١٣

٢٥ - المصدر نفسه اعلاه - ج١ ص ٣٧٧

٢٦ - الاغاني . ج٣ ص ٢٢

٢٧ - المصدر نفسه اعلاه - ص ٢٣ وقد ذكر انه لم يبلغ العاشرة من عمره

٢٨ - محمد الطاهر بن عاشور - ديوان بشار - ج٣ ص ٤١ ونظرات في شعر بشار ص ٤١

استطاعة بشار في التخيل البعيد الذي ليس له حدود . ومن هنا كانت الأهمية التي جعلت ابن نجيم^(٢٩) يقول في كتابه (طبقات الشعراء من الادباء والمتقدمين) . عمد إلى الغريب من الشعر ووحشيه في قوله (٣٠)

بكرًا صاحبي قبل الهجير أنّ ذاك النجاح في التكبير

فلما اعترض عليه ، قال (بنيتها اعرابية وحشية ، فلو قلت فالنجاح كان من كلام المولدين) . فقد اختير بشار بن برد ، لما له من تراث شعري كبير لا يستطيع ان ينافسه احد من الشعراء^(٣١) . حين اعتبره من البلغاء والفصحاء في عصره^(٣٢) . وهو القائل : (٣٣)

مَن راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفاتكُ اللّهجُ

وفي موقف اخر يؤكد لنا بصيرته الثاقبة حين طلب من خراط ان يكون له صورة طير فلما احضره له قال بشار من الافضل ان تنحت طيراً من الجوارح كأنه يريد صيده أو اقتناصه ، عنده ذلك يكون اجمل صورة واكمل عملاً^(٣٤) . ويعجب النقاد من تشبيهه بالشيء وهو اعمى حين يقول (٣٥) :

وتراه بعد ثلاث عشرة قائما نظر المؤذن شك يوم سحاب

ويقول في مناسبة اخرى مرتجلاً بمدح واصل بن عطاء شيخ المعتزلة قبل ان تسيء العلاقة بينهما ، واصفه كمرجل الحداد حين تحف به النار ، ، ونجتزئ من القصيدة بيتا ما يدل من التأكيد على بصيرة بشار الحادة والثاقبة فيقول^(٣٦)

فقام مرتجلاً تغلي بداهته كمرجل القين لما حف بالله^(٣٧)

امتلك بشار بن البرد ملكة شعرية ولغوية ، اهلته ان يكون واحدا من فحول الشعر العربي^(٣٨) وقد وصفه الاصمعي بخاتمة الشعراء حين قال (والله لولا ان ايامه تأخرت لفضلته على كثير منهم)^(٣٩) . وكان

٢٩ - هو زين الدين بن ابراهيم بن محمد الشهير بأبن نجيم الحنفي توفي سنة ٩٧٠ للهجرة ز راجع كتاب الاشباه والنظائر - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ٢٠٠٤ ص ٢٥٦

٣٠ - الاغانى ج ٣ ص ٤٤

٣١ - ابن المعتز - طبقات الشعراء - تحقيق عبد الستار احمد فرج - دار المعارف بمصر ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٦ م ص ١٩

٣٢ - المصدر نفسه اعلاه - ص ٢١

٣٣ - نظرات في ديوان بشار - شاعر الفحاح - مجمع اللغة العربية - دمشق الطبعة الثالثة ١٩٨٣ - ص ٢١١ وابن المعتز -

طبقات الشعراء ص ٩٩

٣٤ - المصدر نفسه اعلاه ص ٢٧

٣٥ - ابن المعتز - طبقات الشعراء - ص ٦٤٥ . نظر : نظير . وفي الاغانى فعل المؤذن . حيث بدل الكلمة من نظر إلى فعل

٣٦ - عز الدين اسماعيل - في الادب العباسي الرؤية والفن - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٥ - ص ١٩٨

٣٧ - القين - الحداد الذي يصهر الحديد كي يحوله من شكل إلى اخر - المعجم الوسيط

٣٨ - ينظر عبد الله بن المعتز - طبقات الشعراء - تحقيق عبد الستار احمد فرج - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة ١٩٧٦

ص ٨

٣٩ - الاغانى - ج ٣ ص ٢٣

يعجب بشعره لكثرة فنونه وسعة تصرفه ويقول كان مطبوعا لا يكلف طبيعته شيئا^(٤٠). حين قال الشعر وله عشر سنوات وهو لم يبلغ الحلم بعد. ^(٤١). وقد نسب اليه ثلاثة عشر الف بيت جيد^(٤٢). وفي مناسبة اخرى يقول بشار(لي اثنا عشر الف بيت عي^(٤٣) فقبيل لي هذا ما لم يكن يدعيه احد سواك قط فقال لي اثنتا عشرة الف قصيدة)^(٤٤) ويؤكد ذلك ابن قتيبة حينما يقول (وبشار احد المطبوعين الذين كانوا لا يتكلفون الشعر، ولا يتعبون فيه وهو من اشعر المحدثين)^(٤٥). وقد ايد هذا القول الجاحظ حين عدد الشعراء المطبوعين هم اربعة ، بشار بن برد والسيد الحميري^(٤٦) وابو العتاهية^(٤٧) وابن ابي عيينه^(٤٨). وبعدها علق بقوله (ولكن بشار اطبعهم)^(٤٩).

فقد سلك طريقة لم يسلكها احد من قبل سواء من الشعراء او الادباء، وأحسن التفرد بها. وهي الاكثار بالتصرف للفنون شعرية والاكثر غزارة واوسع بديعا. وكان ان شبهه النقاد والمؤرخون بالأعشى والنابعة الذبياني .^(٥٠) مما جعل من شعره ان يصلح للجد والهزل .
سبق المتقدمين والمتأخرين من الشعراء بالألغاز. حتى قيل انه لا توجد نائحة او مغنية الا وتكسبن بواسطة قراءة شعره في كل المناسبات^(٥١). ولم يقتصر الامر على ذلك فقد وصفه الجاحظ بشاعر الحكمة حين يقول^(٥٢)

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن
برأي نصيح أو نصيحة حازم
ولا تحسب الشورى عليك غضاضة
مكان الخواني نافع للقوائم

- ٤٠ - المصدر نفسه اعلاه ج ٣ ص ٢٥
٤١ - المصدر نفسه اعلاه
٤٢ - المصدر نفسه اعلاه
٤٣ - ذكر مفردة عين بدلا من أي مفردة اخرى. وهذا يدل على ان عاهته تركت اثرا كبيرا في نفسه. يحاول ان يفهم السامع بأنه لا ينقصه فقدان البصر
٤٤ - الاغاني - ج ٣ ص ٢٣
٤٥ - ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - الشعر والشعراء - الدار العربية للكتاب - بيروت ١٩٨٣ الطبعة الثالثة ص ٦٤٣
٤٦ - هو اسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مُفَرِّغ الحميري - انظر ابن معتمر - طبقات الشعراء ص ٣٢
٤٧ - هو اسماعيل بن القاسم مولى لعنزة ويكنى ابا اسحاق. المصدر نفسه اعلاه ص ٤٠٩
٤٨ - هو ابو اسحاق ابراهيم بن عيينة ابن ابي عمران الهلالي هو امام ومحدث وشاعر في الكوفة - انظر / الجاحظ - كتاب البيان والتبيين ج ١ ص ٥٠
٤٩ - جرجي زيدان - المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية - مطبعة دار الهلال ١٩٤٦ ص ٩٣
٥٠ - جرجي زيدان - المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية - ص ٢٥
٥١ - المصدر نفسه اعلاه ص ٢٦
٥٢ - ابي عثمان الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي القاهرة - الطبعة الخامسة ١٩٨٥ - الجزء الرابع - ص ٤٩

وفي مكان اخر يدعو الحكمة والنصيحة ، ويوثق من خلالهما العلاقات الاجتماعية ويضع قوانين تحفظ المودة وتزيد عرى الصداقة التي قوامها الوفاء والمحبة والاخلاص وهذا يأتي نتيجة خبرته من مدرسة الحياة وتجاربها القاسية فنجدته ينشد^(٥٣):

إذا كنت في كل الامور معاتباً
صيقك لم تلق الذي تعاتبه
فَعش واحداً أو صل اخاك فإنه
مقارِف ذنب مرة ومجانِبُه
إذا انت لم تشرب مرارا على القذى
ظمئت وأي الناس تصفو مشاربُه

ويذكر انه اخذ الشعراء ينشدون ابياته لما فيها من الحكمة والتأثير في النفوس^(٥٤) فنلاحظ مما تقدم انه أصبح بمثابة فقيه واعظ مذكر مستمعيه بحسن العبارة ومليح الاشارة، كلامه فيه رقة وطلاوة وحكمة، ولنظمه عذوبة وحلاوة. بدوي المنشأ، حضري الثقافة، علم بأصول الصداقة وقوانينها وشرائعها وحقوقها وطريقة المحافظة عليها من الضعف او الموت. مما يؤكد انه كان ذو دراية وتجربة. لقد عرف العربية وتعلمها واتقن مفرداتها القديمة منها والحديثة حتى استطاع ان يصوغ مفرداتها معتمدا على فطنته البارعة مادحا نفسه بقوله^(٥٥):

ونبئت قوماً بهم جنة
يقولون من ذا وكنت العلم
الا أيها السائل جاهدا
ليعرفني أنا أنف الكرم

وقد عرف عنه انه قال اثني عشر بيتاً ، ولم يدع احداً من الشعراء ، ان له هذا الكم من القصائد^(٥٦)

النظرة الإيجابية لعاهة العمى:

تتحرك عاهة العمى شعرياً عند بشار فنجدها حاضرةً بدلالةٍ ورمزٍ وفعاليةٍ وتأثيرٍ، على الرغم من غيابها بما تبعته من رؤى فكرية تستنطق محيلته ، فيترجم إحساس الذات إلى لغة أدبية ، تكشف عن البعد الارشادي بوظيفة لغوية ، هي التعبير عن الفكرة متداخلة مع وظيفة أخرى انتجتها عاهة العمى من شاعر تمكن من اللغة ، وامتلك ناصية الابداع ، وسخر ذلك في شعره ، فجاء شعره فطرياً غزير المعاني ، عميق التفكير ، ودقيق النظم ، وواسع الخيال البارح في الحكمة يدل على ذلك قوله^(٥٧) :

فَعش واحداً أو صل أخاك فإنه
مُقارِف ذنب مرةً ومجانِبُه

فوظيفة أسلوب الامور واضح للعيان في الصياغة التركيبية في قوله (فعش واحداً أو صل اخاك)، إذ إن بلاغة التعبير بالأمر في مثل هذا المقام يستدعي بيان رغبة الشاعر في تحقيق الطلب، فخرج إلى أغراض

٥٣ - محمد الطاهر بن عاشور - ديوان بشار بن برد ج ١ ص ٧٧ ورجي زيدان - المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية ص ٩٥

٥٤ - ابي الفرج الاصبهاني - ج ٣ ص ٢٨

٥٥ - الاغانى - ج ٣ ص ٢١

٥٦ - المصدر نفسه اعلاه ص ٢٣ وقيل ثلاثة عشر ألف بيت وقيل أثني عشر ألف قصيدة

٥٧ - كتاب الاغتني ج ١٣ ص ١٥٤

تفهم من السياق، وقرائن الاحوال، اذ يُراد به التخيير بين الانعزال والوحدة أو التعايش والمرونة والصبر على الآخرين. وقوله^(٥٨):

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَاراً عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيَّ النَّاسِ تَصْفُوُ مِشَارِيهُ

نلحظ في البيت صورة أدبية جميلة تتكى على الاستعارة حيث شبه تحمل الأذى بالشرب من الماء الراكد، وجعل عدم تحمله ظمأً يتحقق فتكون نتيجة الهلاك، فالاستعارة التمثيلية، حيث يشبه من لم يصبر على هفوات أخيه ويغفر له بعض زلاته لن يجد من لا يخطئ فمثله. إما أن يعيش منفرداً منعزلاً عن الناس، وإما يصل إخوانه ويعفو عن بعض زلاتهم. وهي صورة بديعة من صور التعبير الشعري انتجتها عاهة العمى، فقد اختزلت المصائب كلها في مصيبة يتفق عليها الجميع وهي الظمأ. وأي مصيبة أعظم منها؟ ان عدم اكتمال الخلق عند المولود ، او يحدث له من بعد ذلك ، من فقدانه لأحدى الحواس الخمس ، او ما يشابهها ، من نقص في الاعضاء ، لربما تكون له ايجابيات ، لا نعلمها ، الله وحده يعلمها (ذلك خير لكم ان كنتم تعلمون)^(٥٩) .

من جملة المنافع التي انعم بها نتيجة فقدان بصره لعاهته هي اولها واهمها ، حصوله على حريته وانعتاقه من نير العبودية والرق ، من بني عقيل^(٦٠) ليستقبل الحياة بأسلوب يختلف عما انجبوا نظراءه من المواليين . حين تهيأت له الفرص التي عرف ان يستغلها ويطورها لصالحه ، ويكون من خلالها شخصيته ويجعل له مكانه يهابها المبصرون من اصحاب الجاه والمال والسلطان . ولولا هذا النقص لانتقضت الشروط التي يجب ان تتوفر به حتى يسبغ الله عليه النعم، ولتتحقق بموجبها كل ما يطلبه الامر. ولولاها ايضاً ما حضني من نعمة.

ومن هنا يستوجب البحث في بعض المراحل والمحطات لحياة الشاعر بشار بن برد، كي نبرز الاثار الايجابية [لنعمة العمى] التي اسبغت عليه، تعويضا او سبباً لما وصل اليه من خلود في عالم الادب والشعر، وتأثيرا في المسارات السياسية والاجتماعية والثقافية بشقيه الادبي والعقائدي. فنجده يقول مفتخراً^(٦١):

قال ريم مرعث ساحر الطرف والنظر
لست والله نائلي قلت أو يغلب القدر

٥٨ - ديوان بشار بن برد ص ١٢٨
٥٩ - القرآن الكريم سورة التوبة اية ٤١
٦٠ - ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغاني - ج٣ ص ٢٠ / شوقي ضيف - لعصر العباسي الاول - دار المعارف - الطبعة التاسعة - ١٩٨٦ ص ٢٠٢
٦١ - المصدر نفسه اعلاه ص ٢٢ ومرعث وهو اللقب الذي يكنى به بشار. وتعني قرطة تعلق بشحمة الاذن.

وعندما كان يتبرم أو يتضجور من الناس وما فيهم من صفات لا يجب ان يراها فكان يقول (٦٢)
(الحمد لله الذي ذهب بصري).....

حاول بشار ان يقوم بدور في المشاركة مع اخوته بتوفير سبل العيش وما يحتاجه من مستلزمات يومية من مآكل وملبس وليساهم في الزيادة في الموارد المالية للعائلة.

فقد عرف الوصول لمبتغاه وبأسلوب يحقق ذلك بطريقة أسهل وضمن عن طريق الاكثار في غرض الهجاء. في الحصول على الاموال من خلالها يعينهم بقصائده الهجائية متخذاً من القانون الوضعي الذي ينص (خير وسيلة للدفاع هو الهجوم). مستخدماً طريقة الابتزاز بحق اصحاب المال والجاه. فوجه نحوهم سهام شعره هاجياً وساخراً منهم. فراح الكثير منهم يفتنون أنفسهم حتى لا تصيبهم سهامه، مما تجعلهم في موضع سخرية.

من طبيعة بعض الافراد يتخذون من الذين يعدون من اصحاب العاهات المستديمة وسيلة للترفيه والفكاهة، وموضع السخرية والاستهزاء، وذلك بتوجيه بعض الكلمات الجارحة او الافعال المثيرة بحقهم، غير ابهين في الحفاظ على مشاعرهم، كونهم بشراً لهم مشاعر واحاسيس، وهذه التصرفات تعمل على اثاره احزانهم، والحط بروحهم المعنوية. وهذه الحالة لازالت موجودة وخاصة عند الشعوب المتخلفة

أحس كلا الفريقين، بأن للشعر تأثيراً كبيراً وسلاحاً نافذاً ومؤثراً، وان معركتهم مع بشار إذا تعرضوا له خاسرة. ولكي يأنوا جانبه بعدما شملهم جانباً من هجاء بشار لهم. توجهوا إلى ابيه برد شاكين له حالهم. حينها عرض بشار على ابيه فكرة إذا اشتكى أحد من لسعة الهجاء ان يقل اليهم إلى الآية الكريمة (ولا على المريض حرج) الآية (٦٣). فلما عادوا لشكواهم، فأجابهم حسبما اشار عليه ولده من نصيحة فاصطدموا بقوله وهو يعتذر. فعادوا وهم يرددون (فقه برد اشد علينا من شعر بشار) (٦٤).

عندما تحدث بشعره المتحدثون والمنتقدون فلم يجدوا ما يمكن ان ينكروه على بشار وهو الذي ولد وعاش في وسطهم. (ولدت ونشأت في حجور ثمانين شيخاً من فصحاء بني عقيل ما فيهم احد يعرف كلمة خطأ) (٦٥). وقد حفظ لهم الفضل ولم ينكره بل راح يصر بذلك في كل المناسبات. منوها ومعترفا بأحسان بني عقيل عليه ودورهم في الاخذ بيده منذ طفولته حتى بلوغه واشتداد عوده، ووصل به الامر ان اخذ يصرح بالانتماء إليهم وافتخاره بهم.

٦٢ - ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغاني ج٣ ص٢٢. وعندما سؤل لماذا قال حتى لا ارى ما يبغضني

٦٣ - القرآن الكريم . سورة النور - اية ٢٤

٦٤ - ابو الفرج الاصفهاني - كتب الاغاني - ج٣ ص٥٣ - وشوقي ضيف - تاريخ الادب العربي - العصر العباسي الاول -

ص ٢٠٢

٦٥ - الاغاني ج٣ ص٢٦٥

تعايش بشار ولم يستسلم لما فيه من نقص في الحواس. رفض أي نوع من العطف أو الاحسان، بل راح يصرح بما فيه معتزاً ومفتخراً بمواهبه التي منحه الله بها، وفضله عن الذين يمتلكون البصر لكنهم فاقدون البصيرة، وعند البحث في كتب الادب نجده يفتخر بنفسه، ولم يشعر انه في حالة تستوجب ان يميز عن الاخرين، سواء بالواجبات او الحقوق. فقد نقل لنا الجاحظ بعض ابياته ، مؤكدا انه لولا العمى لكان كبقية الخلق ليس له اثر ولا صدى فيقول^(٦٦)

عميت جنينا والذكاء من العمى
وغاض ضياء العين للعلم رافدا
وفي مناسبة اخرى يقول^(٦٧)

وكيف يخف لي بصري وسمعي
قعودا حول دسكرتي وعندي
إذا ما شئت صبحني هلال
وحولي عسكريان من الثقال
كأنّ لهم عليّ فضول مال
وأبيّ الناس أثقل من هلال

لقد ابتسم الحظ على ما يبدو للشاعر بشار بن برد، وتهيأت له الفرصة التي عرف كيف يستغلها ويجورها لصالحه، لكننا نعتقد وعلى أكثر الظن انه كان يكابر في هذا الامر كثيرا، وهذا نتيجة اعتزازه بنفسه وعدم استسلامه للواقع الذي ولد فيه وهو على هذا الحال. حيث يقول صاحب كتاب الاغاني^(٦٨). كان بشار يعد من البلغاء الفصحاء^(٦٩) حين اعتبر من الشعراء المطبوعين وقد جعله النقاد راس الشعراء المولدين . فرد عليهم ليؤكد ما يملكه من مكانة ادبية ومقالة شعرية بقوله :^(٧٠)

وقد جعل الاعداء ينتقصوننا
ولم يتمالك مروان بن ابي حفصة^(٧١) وقد بلغ به الاعجاب فقال له (يا ابا معاذ ، انت باز ، والشعراء غرانيق)^(٧٢)

نلاحظ في البيت أن بشار نظمه بأسلوب جميل يحمل في معانيه صفة السهل الممتنع، حيث عرف كيف يصعب الطريقة في اعداده. فقد ضيق الباب التي يمر من خلالها النقاد والذين يعينهم الكلام، وابتلى ان

٦٦ - الجاحظ - كتاب الحيوان ج ١ ص ٢٣٩ و ٢٤٠ ... نظرات في ديوان بشار بن برد ص ١٢
٦٧ - المصدر نفسه اعلاه ص ٣٤
٦٨ - الاغاني - ج ٣ ص ٢٧
٦٩ - عمر بن بحر الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة - ١٩٨٥ الجزء الاول - ص ٤٩
٧٠ - ابي الفرج الاصبهاني - الاغاني - ج ٣ ص ٢٩
٧١ - هو شاعر عاصر بشار بن برد - يكنى ابا السمط وهو مولى مروان بن الحكم وكان ان أعتق اياه ابا حفصة - راجع ابن قتيبة - الشعر والشعراء ج ٢ ص ٦٤٩
٧٢ - الجاحظ - كتاب الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون - القاهرة ١٩٨٥ - جزء الرابع ص ٤٥٤

يظهر هذا النوع من النظم من اول كلمة قالها ، و ليرمز ولو من بعيد إلى نعمة البصر باستخدامه الوسيلة التي يبصر من خلالها المبصرون . (٧٣)

من يقرأ شعر بشار يدرك ما يذهب إليه صاحبه من نزوع إلى الفخر والاعتزاز مع المداعبة الذكية و خفة الروح اذ ينفي عن نفسه فقدان البصر ويؤكد امتلاكه البصيرة التي هي جزء لا يتجزأ عن البصر او بالأحرى البديلة له ، فنراه يقول في قصيدة مطلعها (٧٤):

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يَحْيَيْنِ قَتْلَانَا

ثم ينتقل إلى مشهد اخر او يرسم لنا صورة اخرى يستغني من خلالها عن وظيفة البصر ليحل محله حاسة السمع التي لها ارتباط وثيق بالبصيرة ، وهذا يعود إلى الدرجة العالية من الذكاء حتى استطاع ان يستغني عن نعمة البصر فيقول (٧٥):

يا قَوْمُ أَذْنِي لَبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ والأذن تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا
فقلت احسنت انت الشمس طالعة اضرمت في القلب والاحشاء نيرانا

استعاض عن النظر بالسمع، وهذه النعمة الجديدة لم يسبقه أحد من الشعراء والفلاسفة الذين ابتلوا ما ابتلى به. لكنه في اخر الامر عرف كيف يحيى كما ينبغي الإنسان السليم ان يعيش بين المجتمع. هذه نعمة من الله قلما يستطيع المرء التحسس بها والشعور بأهميتها، ولو لم يكن ذو عقل سديد لكانت حياته لا تختلف عن مئات المبصرين الذين عاشوا ورحلوا ولم يعرف لهم خبر. بهذه الايجابية التي نستنتجها من حياة وسيرة بشار، حيث خلق عالماً جديداً خاص به يقذف الحاضر في المستقبل او يفتح نوافذ الحاضر على المستقبل، فنراه شاعراً ذا تحول مستمر. ومن هنا نراه لعب دورا خطيرا في الشعر العربي، واتم ذلك بطريقة اشد غموضا، لا يعرف تفسيرها سواه، حين لعب دورا في تسلط الذهنية الشعرية البليغة. وبعبارة ادق امتلاك كل مقومات الشاعر الفحل وجعل الشعر وظيفته وغايته وسطوته على من ينافسه او يناظره من المبصرين.

ولو أردنا تشبيهه بشاعر اخر، وخاصة بصلابته وطروحاته واختياره للمعاني والصور الشعرية البليغة. لعجزنا ان نصل إلى من يماثله أو يناظره. ويعود السبب في ذلك بدايته الصحيحة في الرجوع إلى أصل المجتمع ومعرفة ثقافته، وعندها تصورت له رؤيا، وهي بمثابة المفاتيح الذي فك من خلاله لغز الحياة، وجعلها

٧٣ - ابن خلكان - وفيات الاعيان - تحقيق احسان عباس - القاهرة ١٩٦٩ الجزء الاول ص ٢٧١
٧٤ - ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغاني ج ٣ ص ٣٣. يعتقد البعض ان هذا البيت ينسب إلى الشاعر الاموي جرير. وهو مقدمة لما يليه من الابيات التي يقول فيها (يا قوم أذني ...)
٧٥ - محمد الطاهر بن عاشور - يوان بشار بن برد - ج ١ ص ٣١ وابو الفرج الاصفهاني - المصدر نفسه

طوع امره. ومن خلال ذلك استغنى عن النظر، وتابع حياته كما يتابعها المبصرون، بل تفوق عليهم كثيراً. حتى بلغ به الحس حتى انه يشعر من هو امامه^(٧٦).

المحور الثاني : النظرة السلبية لعاهة العمى:

ان العلاقة السلبية مع بعض الشعراء ادت إلى الاصطدام معهم، وجرَّ عليه هذا الاصطدام بلاءً كثيراً وخصوصاً ضمن المعارك الهجائية. فعلى سبيل المثال لا الحصر مع حماد عجرد (وسوف يأتي الحديث عنه) وغيره من الشعراء. ولكن بشار تحدى عاهته التي كانت سبب استغلال عدوه. رغم أنَّ لها أثراً بالغاً على أفعاله ومواقفه. ولكن واجه تلك العاهة محاولاً التعبير عن مكانته عبر الأنا الشعرية حين يقول^(٧٧):

عجبت فطمة من نعتي لها وهل يجيد النعت مكفوف البصر

لقد بدت الأنا الشعرية عنده فتضخمه تضخيماً جعلها غاضبة، مما رفع شأنه اتجاه الآخرين. وهو من خلالها يسعى إلى استظهار قدرته الشعرية في مسعى الأعداء مكانته امام الآخرين.

وهناك حقائق كثيرة يستوجب الوقوف عليها والاعتراف بتأثيرها، على سلوكيات بشار كونه انساناً سوياً عاش صراعاً مع نفسه، وانه مقبل على مجتمع لن تكون له مكانة فيه. فأستعان بفكرة التعالي تارة والعودة إلى العلاقات الاعتيادية تارة اخرى كانسان طبيعي، يكافح ليستمر في العيش، ويستشرف المستقبل ويجعل من سيرته تنهج نهجاً طبيعياً. وبهذا عرف قدره وهو في حالة الم وانكسار حين يصرح في قوله^(٧٨):

وفي العَبْرَاتِ العُرِّ صُبْرٌ عَلَى النَّدَى أولئك حَيٍّ من حُرْمَةِ أَعْلَبُ
وَأَلَمٌ من يَمْشِي ضُبَيْعَةً، إْتَمَّ زعافُ ام يَحْطُبُ إِلَيْهِمْ مُحَجَّبُ

فكانت تتنابه حالة ضعف بين الفينة والاخرى. ولكونه له مشاعر واحاسيس، تستوجب منه الخوف والحذر. عاجلها بانخراطه في مجال العلم والشعر فكان مشغولاً به طيلة حياته، مجتهداً وساعياً بتدبيره ودراسته وكده بشغف. حيث انه كان ينظم الكثير من القصائد وعلى مختلف الاوزان والاعراض. مما سبباً في ايجاد له كثيراً من الخصوم الذين دخل معهم في معركة الهجاء، يذكرونه بما فيه من نقص في الخلق وهي نقطة ضعفه، ووسيلة يستغلها من عجز عن افحامه، واخذ السبق منه. مما يجعله يتأثر ويحزن كثيراً ويجد في نفسه الالم والانكسار كقول احد الشعراء هاجياً^(٧٩):

وعبدي فقاً عينيك في الرحم فجننت ولم تعلم لعينيك فاقعا

٧٦ - ابو الفرج الاصبهاني - الاغاني - ج٣ ص٣٤. فقد روى لنا ان بشار كان جالس وامامه طبق فيه تفاح فأراد أحدهم ان يسرق من طبقه وما ان مد يده حتى ضربه بشار بالعصى كاد ان يكسر يده

٧٧ - ابي الفرج الاصبهاني - ج٣ ص٣٦

٧٨ - الجاحظ - البيان والتبيين - ج٢ ص١٨٤. العبرات: قبائل عبدة. أعلب: غليظ الرقبة. حي أعلب: ذو سيادة. الزعانف: الأحياء القلبية في الأحياء الكثير

٧٩ - الاغاني - لأبي الفرج الاصبهاني - ج٣ ص٢٢ وقد ذكر اسم الشعر وهو ابو هشام الباهلي لكننا لم نعر على نسبه او نتعرف على حياته

أأمك يا بشار كانت عفيفة عليّ إذا مشى إلى البيت حافي

ان المعارك الهجائية التي كانت تدور بين الشعراء لا هواده فيها، حيث يستعمل كلا منهم من الاسلحة المعنوية، من السباب واللعان والبحث عن اصول الخصم وعاداته وانتماءاته العرقية او القبلية، كي يعتمدها في ذكر ما يؤمن له التفوق.

ومن ابرز الشعراء الذين حدثت بينه خصومة وشجار ، هو الشاعر حماد عجرد^(٨٠). وقد لامه النقاد والمؤرخون لدخوله في معركة هجائية معه ، على الرغم انه لم يكن البادئ^(٨١) وكان من الافضل ان يتحاشه ولم يرد عليه ، كما هو الحال مع جرير ، عندما اراد بشار ان يدخل معه في معركة هجائية^(٨٢) ، بشار قال (هجوت جريرا فلو اجابني لكنت اشعر الناس) ^(٨٣). مما كان من حماد ان يهجوه بأبيات ذكرا فيها عاهة بشار بقوله^(٨٤):

إن ابن برد رأى رؤياً فأولها
رأى العمى نعمة الله سابغة
وقال لو لم أكن أعمى لكنت
وقال به ايضا مما اوقع بنفسه الالم والاسى^(٨٥):

و يا أقبح من قرء إذا ما عمى القرء

فقد جزع من هذا البيت جزعا كثير ، (وقيل انه لم يجزع من شئ قط كجزعه من هذا البيت)^(٨٦) . حينها قال (والله انه ليس اشعر مني ولكن هو يبصرني ولا ابصره)^(٨٧). نستنتج من هذا الموقف الاثر السلبي الذي تركه في نفسه، مما جعله يعترف، امام الهزيمة ان لم يتدارك الحالة. فلم يقتصر الامر على شعر واحد بل استغل شاعر اخر حاجة بشار إلى من يقف معه ويعينه في محنته فهذا ابو الشمقمق^(٨٨). كانت علاقته ببشار مبنية على الاستغلال والابتزاز ، برغم من ان الاخير كان

٨٠ - هو حماد عجرد واسمه الحقيقي حماد بن عمر بن يونس، شاعر مخضرم عاصر اواخر الدولة الاموية وبداية الدولة العباسية ولم يذاع صيته ويشتهر الا في ايام الدولة العباسية. توفى سنة ١٦١. واتهم بالزندقة لكثرة مجونه. الجاحظ - البيان والتبيين - ج١ ص ٣٠

٨١ - الجاحظ - كتاب الحيوان ج٤ ص ٤٥٣

٨٢ - هو جرير بن عطية بن حذيفة - انظر بن قتيبة - الشعر والشعراء - ج٢ ص ٣٧٤. ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغاني

ج٣ ص ٢٤

٨٣ - الجاحظ - كتاب الحيوان - ج٣ ص ٢٣، ٢٤

٨٤ - المصدر نفسه اعلاه - ج١ ص ٢٤١

٨٥ - الجاحظ - البيان والتبيين - ج١ ص ٣٠

٨٦ - الجاحظ - البيان والتبيين - ج١ ص ٣٠.

٨٧ - المصدر نفسه اعلاه

٨٨ - ابو الشمقمق هو ابو محمد بن مروان بن محمد. (ت ٢٠٠ هـ / ٨١٥ م) شاعر مخضرم عاصر اواخر الدولة الاموية وكان ندما لأخر خلفاء الدولة الاموية الخليفة مروان بن محمد (٧٢ - ١٣٢ هـ). انظر إلى ابي جعفر بن محمد الطبري - تاريخ الرسل والملوك - ج٧ ص ٤٣٥

رحيماً به وعطوفاً عليه^(٨٩). لكن ابي الشمقمق بين الفينة والفينة يلجأ اليه مستغلاً عاهته مهدداً له. حين يؤلف قصصاً يريد من خلالها ان يفهمه إذا لم يستجيب لحاجته فانه على استعداد ان يقول فيه شعراً يجعل منه اضحوكة بين الشعراء. اذ يخبرنا صاحب كتاب الاغاني ان ابا الشمقمق جاء ذات يوم قائلاً (لقد سمعت الصبية يرددون الابيات التالية) يقولون^(٩٠):

هللينه هللينه
طعن قناة لتينة

ان بشار بن برد
تيس اعمى في سفينة

حينها عرف بشار ما هو المقصود من هذا القول فأخرج مبلغاً من المال قائلاً اسكتهم به^(٩١). لم يقف الامر على الابتزاز بل اخذ بعض من الشعراء سرقة معاني الابيات التي يقولها بشار. فنجد الشاعر سلم الخاسر^(٩٢) حين سرق منه معنى البيت الذي قاله بشار^(٩٣):

من راقب الناس لم يظفر بحاجته
وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

حين سمع سلم الخاسر هذا البيت، فراح يغير ببعض مفرداته لكن لم يغير المعنى الذي جعل منه بشار مقولة شعرية مبنية على الحكمة وجمال المعنى فصاغه بأسلوبه الخاص بقوله^(٩٤):

من راقب الناس مات غمماً
وفاز باللذة الجسور

وهذا الموقف انزل في نفس بشار الحسرة والالم، حين يسمع من يحضر مجلسه يسرق أغلي ما يملك ومتمثل بنبوغه وسعة تفكيره الذي لا يستطيع أحد من اقرانه ان يصل إلى مثل هذا المعنى، فيلتجؤون إلى سرقة ما يعني، إذا لم ينتحلوا لأنفسهم. فلو كان يبصر من هم جلسائه ما كان يفصح عن المعاني التي يصقل بها ابياته وقوافيه.

مما تقدم ان عاهة العمى التي صاحبت بشار منذ ولادته، لم تكن سلبية في جميع مراحل حياته، نعم فقد اعطته البصيرة، وهذه جعلته علماً وقامة من اعلام الشعراء على مدى العصور. لكن في الوقت نفسه اخذت منه الكثير، وجعلته يخفق في مواقف ومجالات كثيرة. فلولاها لكان من اقوى الشعراء، لا يشق له غبار.

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا) ^(٩٥)

٨٩ - ابو الفرج الاصبهاني - كتاب الاغاني ج ٣ ص ٣٩

٩٠ - المصدر نفسه اعلاه ص ٤٧

٩١ - المصدر نفسه اعلاه

٩٢ - سلم الخاسر هو عمر ولقب لكونه باع نسخة من القرآن واشترى بثمنها الة الطرب. راجع ابن المعتز - طبقات الشعراء ص ٩٣

٩٣ - ابو الفرج الاصبهاني - كتاب الاغاني ج ٣ / ص ٤٩ وابن المعتز - طبقات الشعراء ص ١٠٠

٩٤ - المصدر نفسه اعلاه

٩٥ - القرآن الكريم - سورة النساء - الآية ٤٠

الخلاصة

ان تاريخ الادب، يؤكد لنا ومن خلال شخصياته ان العاهة التي تلازم صاحبها، لا تجعل منه ان يعيش بعيداً عن مجتمعه أو غريباً عنهم في الاطوار، بل تجعله عنصراً متميزاً، ذا تأثير في مجاله واختصاصه، تهيئ له مستلزمات النجاح حتى تجعله متميزاً عن اقرانه مما لا يوجد فيهم أي نقص أو أي عاهة. فقد استطاعوا ان يأخذوا مكانتهم في المجتمع، ويلعبوا ادوار في كافة المجالات. وعلى وجه الخصوص حاسة البصر لما لها من دور مهم وكبير في تنظيم حياة الافراد ومساعدتهم.

ان كل الحواس التي انعم الله على البشر بها مهمة، لكن تأتي حاجتها حسب الاهمية في تنظيم حياة الفرد. وحاسة البصر لها موضع خاص للمفاضلة والرقى أن لم تكن اهمها ، فقد ذكر في محكم كتابه الكريم آيات التمييز بين البصر وضده وما لنعمة البصر من مكانة، حين استخدم التفاضل بصورة مادية ومعنوية ، تبين من معنى الآية ومعناها وموقعها بحكم التفسير قال تعالى (قل هل يستوي الاعمى والبصير افلا تتفكرون) (٩٦). ويكرر السؤال في مواطن اخرى (٩٧). ويأتي الجواب من حيث الاهمية (وما يستوي الأعمى والبصير. ولا الظلمات والنور) (٩٨). حين يساوى الله بين العمى والظلمات، وبين البصر والنور. فهذه المقارنة الواضحة والدقيقة تبين ان للبصر نعمة لا تضاهيها نعمة اخرى. بل جعل العمى من حيث التفسير المعنوي نوعاً من الدم والانتقاص في تفسير الامور واتخاذ القرارات الصحية والواضحة مما تنقل الفرد من حالة سلبية منقوصة من حيث التدبير واتخاذ القرار المناسب والصحيح، إلى حالة تتميز بالأفضلية المحمودة، والتي يسعى اليها كل ذو عقل راجح.

لهذا نجد ان بشار بن برد حاول جاهدا ان يثبت انه أفضل من كثير الذين يبصرون، فنجح في مواقف كثيرة، لكنه أخفق احيانا. نجح عندما خلد اسمه واخذ زمام التألق بين شعراء عصره. الذي ازدهر به الشعر، وهو أفضل العصور. حيث التزاحم الشديد بين شعرائه، والمنافسة الفوز بالوصول إلى القمة.

وأخفق في بعض الموضع حين هزم وهو معترف بهزيمته حين يصرح يروني ولا اراهم يقصد خصومه.

نسأل الله ان لا يجرمنا من نعمه كلها ويجعلنا دائما من الشاكرين لفضله انه السميع المجيب

المصادر

١ - القرآن الكريم

٢- احمد طاهر بن عاشور - ديوان بشار بن برد - القاهرة ١٩٥٠

٩٦- سورة الانعام اية ٥٠

٩٧- (قل هل يستوي الاعمى والبصير) القرآن الكريم - سورة الرعد اية ١٦

٩٨- القرآن الكريم - سورة فاطر اية ١٩

- ٣- جمال الدين ابو الحجاج المرزي - تهذيب الكمال في اسماء الرجال - ابو العباس سائب بن فروخ
-الشاعر الاعمى المكتبة الاسلامية ١٩٩٨
- ٤- ابن خلكان - وفيات الاعيان - تحقيق احسان عباس - القاهرة ١٩٦٩
- ٥- ابو الفرج الاصفهاني - كتاب الاغاني - مطبعة بولاق / مصر - القاهرة ١٢٨٥
- ٦- ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - الشعر والشعراء - دار العربية للكتاب - بيروت ١٩٨٣
- ٧- ابي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة - طبقات الشعراء - تحقيق مفيد قمحية - دار الكتاب
العلمية - بيروت لبنان - الطبعة الاولى ١٩٨١.
- ٨- ابن المعتز - طبقات الشعراء- تحقيق عبد الستار احمد فرج - دار المعارف بمصر - الطبعة الثالثة
١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م
- ٩- ابي عمر بن بحر الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة
- الطبعة الخامسة ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥
- ١٠- ابي عمر بن بحر الجاحظ - كتاب الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون - دار احياء التراث العربي
- بيروت / لبنان - الطبعة الثالثة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م
- ١١- ابي عمر بن بحر الجاحظ - البيان والتبيين - تحقيق عبد السلام هارون - مكتبة الخانجي - القاهرة
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م
- ١٢- ابو الفرج الاصبهاني - كتاب الاغاني - مطبعة بولاق - مصر ١٢٨٥ هجري
- ١٣- ابو العلاء المعري - ديوان أبي العلاء المعري - سنة ٢٠١١
- ١٣- جورجى زيدان - المختصر في تاريخ ادب اللغة العربية - دار الهلال / القاهرة ١٩٤٦.
- ١٤- زيد الدين بن ابراهيم بن النجيم (٩٧٠هـ) - دار الكتب العلمية - بيروت لبنان - ٢٠٠٤
- ١٥- شاعر الفحام - نظرات في ديوان بشار بن برد - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق - دمشق
١٩٨٣ الطبعة الثانية.
- ١٦- شهاب الدين محمد بن احمد ابي الأبشيهي المحلي (٧٩٠-٨٥٠هـ) - المستطرف في كل فن
مستطرف - مكتبة المشهد الحسيني - القاهرة (سنة الطبع مجهولة)
- ١٧- شوقي ضيف - الفن ومذاهبه في الشعر العربي - دار المعارف - القاهرة - الطبعة العاشرة
١٩٦٠
- ١٨- عز الدين اسماعيل - في الادب العباسي الرؤية والفن - دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧٥
- ١٩- هوميروس / الإلياذة - ترجمة سليمان البستاني - مؤسسة الهنداوي - المملكة المتحدة ٢٠١٧

- ٢٠- محسن الامين - ابو تمام حياته وشعره - تحقيق محسن الامين - دار الهادي بيروت ٢٠٠٤
- ٢١- محمد بن جرير الطبري - تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار المعارف - القاهرة ١٩٧٧.
- ٢٢- محمد الطاهر بن عاشور - ديوان بشار بن برد - مطبعة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة
- ١٩٥٠/هـ ١٣٦٩ م
- ٢٣- معن بن اوس - كمال مصطفى - مكتبة النهضة ٢٠١٦